The Functional Value of Morphological and Grammatical Movement

Zyad A. Abdussamad Albanna
Faculty of Education, Salahaddin university, Iraq
dr.zyadalbanna@gmail.com

ABSTRACT:

Arabic is one of the synthetic languages, and it is one of the most languages that branch into various sciences and departments. Among these sciences is semantics, which is a wide-area science, intertwined with parts, broadening relationships with other linguistic, structural, and structural linguistic levels, in addition to its relations with many human sciences and knowledge such as philosophy, jurisprudence, and science. Speech, and others, and specialized in Arabic features that made it known and clearly defined among other languages, and among these features are movement and what it performs of indications, whether morphological in the structures of words or grammatical in the end, and this research tries to stand at the importance of these movements and reveal the indications that suggest and gain the lexical singular New connotations.

Keywords: Semantics; Function; Movement; Morphological Movement; Grammatical Movement.

<https://doi.org/10.51345/v32i1.315.g186>

القيمة الوظيفية للحركة الصرفية والنحوية

أ.م.د. زياد عبد الله عبد الصمد البنا

كلية التربية، جامعة صلاح الدين، العراق

dr.zyadalbanna@gmail.com

ملخص البحث

العربية من اللغات التركيبية، ومن أكثر اللغات التي تتفرّع إلى علوم وأقسام متنوّعة، ومن هذه العلوم علم الدلالة وهو علم فسيح الأرجاء، متداخل الأجزاء، متّسع العلاقات مع المستويات اللغوية الأخرى الصوتية والبنائية والتركيبية، زيادة على علاقاته بعلوم ومعارف إنسانية كثيرة كالفلسفة، والفقه، وعلم الكلام، وغيرها، واختصّت العربية بمميزات جعلتها معروفة واضحة المعالم بين اللغات الأخرى، ومن هذه الميزات الحركة وما تؤديها من دلالات سواء كانت صرفية في بنى الكلمات أم نحوية في أواخرها، وهذا البحث يحاول الوقوف عند أهمية هذه الحركات والكشف عن الدلالات التي توحىها وتكسب المفردة المعجمية دلالات جديدة.

الكلمات المفتاحية: علم الدلالة، الوظيفة، الحركة، الحركة الصرفية، الحركة النحوية.

<https://doi.org/10.51345/v32i1.315.g186>

المقدمة:

تواصل العلماء واللغويون في العناية باللغة العربية والحفاظ عليها كونها لغة القرآن الكريم، فألّفوا في ذلك الكتب والمعاجم والمجلدات، لإرساء قواعدها، وتثبيت دعائمها، وحمايتها، فكانت بحوثهم ودراساتهم منارةً للأجيال من بعدهم.

والعربية من اللغات التركيبية، ومن أكثر اللغات التي تتفرّع إلى علوم وأقسام متنوّعة، ومن هذه العلوم علم الدلالة وهو علم فسيح الأرجاء، متداخل الأجزاء، متّسع العلاقات مع المستويات اللغوية الأخرى الصوتية والبنائية والتركيبية، زيادة على علاقاته بعلوم ومعارف إنسانية كثيرة كالفلسفة، والفقه، وعلم الكلام، والتاريخ، والجغرافية، والاجتماع، وغيرها من العلوم التي يبدو بعضها شديد الاشتباك بعلم الدلالة، وهو من أهم هذه الفروع وأعقدّها وأمتعها في آن واحد، فهو هام لأنه يبحث في المعنى الذي هو الوظيفة الرئيسة للغة، وهو معقد لأنه يبحث في أمور مجردة متشعبة ذات طبيعة فلسفية نفسية، وهو ممتع لأن اقتحامه على ما فيه من تعقيد يعطي الباحث متعة ذهنية راقية، والدلالة (semantics)، يُعرّف بأنه: " دراسة المعنى، أو العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى"، ومن الأمور التي يعتمد عليها في توجيه المعنى الحركة (الصائت القصير) سواء كانت صرفية أم نحوية، للفصل بين المعاني وهذا البحث قائم على ذلك.

المحور الأول: علم الدلالة ظهوره ونشأته:

من المعروف أن علم الدلالة علم حديث النشأة، ظهر أولياته وبوادره في أواخر القرن التاسع عشر، وهذا لا يعني مطلقاً أنّ التفكير الإنساني في العصور القديمة في مجال اللغة يخلو من دراسات تهتم بالمعنى⁽¹⁾، لكن التنظير والتقنين لهذا العلم بدا حديثاً.

أما منبع ظهور هذا العلم⁽²⁾ – مستقلاً أو كجزء من علم اللغة أو اللسانيات – فكان لليونان أثرهم البين في بلورة مفاهيم لها صلة قيمة بعلم الدلالة، فلقد حاور (أفلاطون) أستاذه (سقراط) حول علاقات قائمة بين

اللفظ ودلالته، وكان أفلاطون يميل إلى القول بالعلاقة الطبيعية بين الدال ومدلوله، وأخذ سقراط يمّني النفس بتلك اللغة المثالية التي تربط بين ألفاظها ومدلولاتها ربطاً طبيعياً ذاتياً، كذلك الألفاظ المشتقة من أصوات الطبيعة من حفيف وخرير وزفير.

أمّا عند الهنود، فقد جذب هذا الموضوع اهتمام الهنود، ربما قبل اهتمام اليونانيين، بتعدد الآراء حول العلاقة بين اللفظ والمعنى، فمنهم من رفض فكرة التباين بين اللفظ والمعنى، ومنهم من رأى بأن العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة وطيدة وفطرية⁽³⁾، ولقد كان لعلماء اللغة الهنود عناية كبيرة باللغة، وكتاب الهنود الديني (الفيدا) منبع الدراسات اللغوية والألسنية، ومن جملة الآراء التي أوردتها العلماء الهنود حول نشأة اللغة قولهم بوجود علاقة ضرورية بين اللفظ والمعنى.

وكان لعلماء الرومان جهدٌ مُعتبر في الدراسات اللغوية؛ خاصّة ما تعلّق منها بالنحو، وإليهم يرجع الفضل في وضع الكتب المدرسية، وبلغت العلوم اللغوية من النضج والثراء مبلغاً كبيراً في العصر الوسيط مع المدرسة السكولائية (Scolastique) والتي احتدم فيها الصّراع حول طبيعة العلاقة بين الكلمات ومدلولاتها⁽⁴⁾.

وفي حدود القرن التاسع عشر الميلادي تطورت الدراسات اللغوية، ولم يكن علم الدلالة قائماً بذاته - كعلم مستقل -، وهذا ما جعل اللغويين أكثر تخصصاً في البحث عن اللغة، فظهرت النظريات اللسانية وتعددت المناهج، فبرزت (الفونولوجيا) التي اهتمت بدراسة وظائف الأصوات، كما ظهر علم (الفونتيك) الذي يهتم بدراسة الأصوات المجردة، وبرزت (الأتيمولوجيا) التي اعتنت بدراسة الاشتقاقات في اللغة، ومن ثم ظهور علم التراكيب الذي يختص بدراسة الجانب النحوي وربطه بالجانب الدلالي في بناء الجملة، وأصبح علم الدلالة (السيانتيك) علماً مستقلاً قائماً بذاته، ولقد ظهرت أولياته وبوادره خلال القرن التاسع عشر في أعمال مجموعة من الباحثين منهم: الألماني ماكس مولر (Max Mullar)، والفرنسي (Michel Breal)، والسويدي (Noreen)، والأمريكي (Bloomfield)، والإنجليزي (Firth)⁽⁵⁾.

ولا شك أن أهمية دراسة المعنى تكمن في دراسة اللغة؛ فاللغة ألفاظ ذات معانٍ، ولولا تلك المعاني ما كانت الدراسات اللغوية تصل إلى ما وصلت إليه، إذ المعاني لا تنتهي، والألفاظ متناهية، ثم حُمّل على المشترك

والحركة المزدوجة والمثلثة حفظ التوازن بين المعاني والألفاظ، والعرب تقدّم المعاني على الألفاظ، وهذا ما ذكره ابن جني (ت 392هـ): " أن العرب تهتم بالمعاني، وتقدّمها في أنفسها على الألفاظ...، فكأن العرب إنما تحلّي ألفاظها وتدبّجها وتشبّثها وتزخرفها؛ عناية بالمعاني التي وراءها، وتوصلاً بها إلى إدراك مطالبها،...، والمعاني أقوى عند العرب وأكرم عليها، وأفخم قدراً في نفوسها، والألفاظ خدم للمعاني؛ والمخدوم لا شك أشرف من الخادم" (6).

الحركة في اللغة:

"حَرَكَ الشيء يَحْرُكُ حَرْكاً وحركةً وكذلك يَتَحَرَّكُ. تقول: حَرَكْتُ بالسيف حَرْكَةً حَرْكاً أي صَرَبْتُهُ" (7)، و"الحركة: ضد السكون: وحركته فتحرك، ويقال: ما به حراك، أي حركة" (8)، و"من الباب الحاركان، وهما ملتقى الكتفين، لأنها لا يزالان يتحركان" (9).

الحركة في الاصطلاح:

الحركات أو ما يسمّى (الصوائت)، هي الأصوات المجهورة التي يحدث في تكوينها أن يندفع الهواء عند النطق بها خلال الحلق والفم وخلال الأنف معهما أحياناً، دون أن يكون هناك عائق يعترض مجرى الهوى اعتراضاً تاماً أو تضيق لمجرى الهواء من شأنه أن يحدث احتكاكاً مسموعاً (10).

"وإنما سميت هذه الأصوات الناقصة حركات، لأنها تقلق الحرف الذي تقترن به، وتجذب به نحو الحروف التي هي أبعاضها، فالفتحة تجذب الحرف نحو الألف والكسرة تجذب نحو الياء، والضمّة تجذب نحو الواو، ولا يبلغ الناطق بها مدى الحروف التي هي أبعاضها، فإن بلغ بها مداها، تكملت له الحركات حروفاً، أعني ألفاً وياء وواواً" (11).

ولا شك أن هذه الحركات تقوم بمهمة كبيرة في العربية، فهي تعدّ أساساً لقوة السماع في لغة دعامتها المشافهة حتى الوصول إلى زمن التأليف والتدوين، فضلاً عن تسهيلها لعملية النطق وسرعة الانتقال فيما بين الحروف؛

لتوصل الكلام بعضه ببعض، وليس هذا فحسب بل تجاوزت ذلك لتنتقل إلى الجانب الدلالي وتنوع المعنى عند تقليب صيغ الاشتقاق المختلفة في حدود المادة ذات الجذر الواحد.

"وزعم الخليل أن الفتحة والكسرة والضمة زوائد، وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به. والبناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه. فالفتحة من الألف، والكسرة من الياء، والضمة من الواو. فكل واحدة شيءٌ مما ذكرت لك"⁽¹²⁾. فلعل الخليل يريد بالبناء الأصل، وهو الأصوات الصامتة التي لا يمكن النطق بها إلا بعد أن تتخللها الأصوات الصائتة، وهذه الصوامت الأصول التي قامت على أساسها المعاجم العربية، فالمعنى العام تدل عليها الأصوات الصامتة، والمعاني الخاصة أو الفرعية تدل عليها الصوائت، كَتَبَ - كُتِبَ - كَاتَبَ - كَاتِب.

بين الدلالة والمعنى (Semantics & Meaning)

ينقسم الآراء حول هذين المصطلحين:

أ- هناك مَنْ يرى من الدارسين واللغويين بأن مصطلح الدلالة ومصطلح المعنى مترادفان.

ب- آخرون يرون أن هناك فرقاً بين المصطلحين.

فمن القائلين بترادف المصطلحين (د. إبراهيم أنيس) في كتابه (دلالة الألفاظ) و (موريس أبو ناضر) في كتابه (إشارة اللغة ودلالة الكلام)، و (أحمد مختار عمر) في كتابه (علم الدلالة)، فقد ذكر في تعريف علم الدلالة: "أما في اللغة العربية فبعضهم يسميه علم الدلالة وبعضهم يسميه علم المعنى والبعض الآخر يطلقون عليه اسم "السيمانتيك"⁽¹³⁾.

ويرى آخرون أن هناك فروقاً بينهما، فقد ذكر (د. هادي نهر) في كتابه (علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي) أن علم الدلالة أوسع وأشمل من المعنى، إذ يدخل ضمن الدلالة الرموز اللغوية (الألفاظ) وغيرها من أدوات الاتصال والإشارات والرموز والعلامات⁽¹⁴⁾، ودلالة اللفظ هي علاقته بمعناه، أي: ما ينصرف إليه هذا اللفظ في ذهن من معنى مدرك أو محسوس⁽¹⁵⁾.

صفات الحركات

في اللغة العربية ثلاث حركات قصيرة (Short Vowels) هي (الكسرة – الضمة – الفتحة)، وتقابلها في الألف باء العربية نظائرها الثلاث (Long Vowels) وهي (ياء المدّ – واو المدّ – ألف المدّ)⁽¹⁶⁾، والحركات القصيرة التي تسمى أيضا بالحركات الأصلية، والتي هي:

الفتحة: عبارة عن فتح الشفتين عند النطق بالحرف، ويسمى بالفتحة أو النصب، وإن امتدت تكون ألفاً، وإن قصر تكون فتحة أو بعض الألف، والفتحة تنبئ عن الكثرة، ويشار بها إلى السعة يدلّك على ذلك أن الأخرس إذا أخبر عن شيء كثير فتح شفّتيه، وباعد بين يديه إلى البعيد، وهي حركة خفيفة مستحبة يهرع إليها العربي ما وجد إلى الخفة سبيلاً، وهو عمل صادر عن الإرادة، وكلها أفعال مفتوحة العين؛ لأن الفتحة تدلّ على العمل الصادر عن الفاعل.

الضمة: عبارة عن تحريك الشفتين بالضم (تدويرهما) عند النطق بالحرف، فيحدث عن ذلك صوت خفيّ مقارن للحرف، فإن امتدت تكون واواً، وإن قصر تكون ضمة أو بعض الواو، والضمة ضدّ الفتح حيث تنبئ عن الضيق والدقة والقلّة والتمكّن والقوّة والدوام والثبات، يدلّ على ذلك أنك تجد المقلل للشيء يشير إليه بضم يد أو فم كما فعل رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) حين ذكر ساعة الجُمُعة وأشار بيده يقللها، فإنه جمع أصابعه وضمها ولم يفتحها، كما يظهر من صيغة (فعل) في لزوم الفعل لموصوفه وثبوتها وتمكّنها؛ لأنها تدلّ على الغرائز والسجايا والصفات الثابتة اللازمة لموصوفها⁽¹⁷⁾.

الكسرة: عبارة عن انجرار اللحي الأسفل عند النطق بالحرف، وحدوث الصوت الخفيّ يسمى كسرة، وإن امتدت يسمى ياءاً، وإن قصر يسمى كسرة أو بعض الياء⁽¹⁸⁾، وهي وسط بين الفتحة والضمة مخرجاً ومعنى، وبين الاتساع والضيق، وهي تدلّ على التواضع واللين والرقّة وإظهار الضعف، وهي علم الإضافة، تدلّ على أن ما لحقته مضاف إليه⁽¹⁹⁾.

وكانت الكتابة العربية في عصر صدر الإسلام خالية من الحركات ونقاط الإعجام، وكانت المصاحف العثمانية مجرّدة من كلّ علامة أو زيادة على نصّ القرآن الكريم⁽²⁰⁾، وقد أخرج الداني (ت 444هـ) عن الأوزاعي

(ت157هـ) قال: سمعت يحيى بن أبي كثير (ت129هـ) يقول: "كان القرآن مجرّداً في المصاحف، فأول ما أحدثوا فيه النقط على الياء والتاء، وقالوا: لا بأس به هو نور له، ثم أحدثوا فيها نقطاً عند منتهى الآي، ثم أحدثوا الفواتح والخواتم" (21).

وأول من استعمل هذه التسميات للحركات الثلاثة أبو الأسود الدؤلي (ت69هـ) عند نقطه للمصحف الشريف، وقد اجتمعت الروايات على أنه أول من استن العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها (22)، فقد وجّه كاتبه في تنقيط الحروف بقوله: "خذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد، فإذا فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله، فإن أتبع شيئاً من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين" (23).

المحور الثاني: الوظائف الصرفية للحركات:

الحركة الصرفية هي الحركات التي تتوالى على فاء وعين الكلمة في العربية، وهي التي تؤدي وظيفة تغيير معنى الجذر اللغوي، أو على الأقل تحديد الاشتقاقات المولدة من الجذر الواحد، كما في قولك: مُكْرِمٌ ومُكْرَمٌ لاسم الفاعل والمفعول من أكرم، والذي نبحت عنه في هذه الأمثلة تغيير معنى الجذر الواحد بسبب اختلاف حركات بنائه الصرفي.

ه و ن

"الهاءُ وَالْوَاوُ وَالنُّونُ أُصِلُّ يَدُلُّ عَلَى سُكُونٍ أَوْ سَكِينَةٍ أَوْ ذُلٍّ" (24)، فالهُونُ: الحِزْبِيُّ والشَّيْءُ الحَقِيرُ (25)، والهُونُ والهُوانُ: نَقِيضُ الْعِزِّ (26)، وأهانهُ وهَوَّنَهُ واستهانَ بِهِ وتهاوَنَ بِهِ: استخفَّ بِهِ، وَالِاسْمُ الْهُوانُ، أي: ذُلٌّ وَضَعْفٌ، واستهانَ بِهِ وتهاوَنَ بِهِ: استَحَقَّرَهُ (27)، والهُونُ: الْهُوانُ وَالشُّدَّةُ. أَصَابَهُ هُونٌ شَدِيدٌ أَيْ شِدَّةٌ وَمَضَرَّةٌ وَعَوَزٌ (28)؛ والهُونُ: مَصْدَرٌ هَانَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ أَيْ خَفَّ، وهَوَّنَهُ اللهُ عَلَيْهِ أَيْ سَهَّلَهُ وَخَفَّفَهُ. وَشَيْءٌ هَيْنٌ، عَلَى فِعْلٍ أَيْ سَهْلٌ، وَهَيْنٌ، مُخَفَّفٌ (29)، والهَيْنُ: الذي لا كرامة له (30)، وَيُقَالُ: إِنَّهُ هَوْنٌ مِنَ الْخَيْلِ، وَالْأُنْثَى هَوْنَةٌ، إِذَا كَانَ مَطْوَعاً سَلِساً (31)، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْهُونُ وَالهُونُ وَاحِدٌ، وَقِيلَ: الْهُونُ الْهُوانُ وَالهُونُ الرَّفِقُ (32)؛ وَفَرَّقَ بَعْضُهُمْ بَيْنَ الْهَيْنِ

والهَيْنُ فَقَالَ: الهَيْنُ مِنَ الْهَوَانِ، والهَيْنُ مِنَ اللَّيْنِ⁽³³⁾، وقال صاحب العين: "ورجل هَيْنٌ لَيِّنٌ، وفي لغة: هَيْنٌ لَيِّنٌ"⁽³⁴⁾، وذكر ابنُ الأعرابي: الْعَرَبُ تَمْدَحُ بِالْهَيْنِ اللَّيِّنِ، مُحَفَّفٌ، وَتَذُمُّ بِالْهَيْنِ اللَّيِّنِ، مُثَقَّلٌ⁽³⁵⁾.

ورد جذر (ه و ن) في القرآن الكريم [26] مرة⁽³⁶⁾، وبأوزان ودلالات مختلفة.

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ (الأنعام: 93)، قال الماوردي: "والهون بالضم الهوان"⁽³⁷⁾، وهو الهوان الشديد، وإضافة العذاب إليه لعراقته والتمكن فيه، وذلك أنه ليس كلُّ عذابٍ يكون فيه هُونٌ، لأنه قد يكون على سبيل الزجر والتأديب⁽³⁸⁾.

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ (الفرقان: 63)، قال السمين الحلبي: "هَوْنًا" إمَّا نعتٌ مصدرٍ أي: مَشْيًا هَوْنًا، وإمَّا حالٌ أي: هَيْنَيْنِ، والهَوْنُ: اللَّيْنُ وَالرَّفَقُ"⁽³⁹⁾، وقيل: هو السكينة والتواضع، وهو الذي ليس فيه ضرب بالأقدام وخفق النعال فهو مخالف لمشي المتجبرين المعجبين بنفوسهم وقوتهم، وهذا الهون ناشئ عن التواضع لله تعالى والتخلق بآداب النفس العالية⁽⁴⁰⁾، "والعرب إذا أرادت بـ"الهون" معنى "الهوان"، ضمت الهاء، وإذا أرادت به الرفق والدعة وخفة المؤونة، فتحت الهاء"⁽⁴¹⁾.

والتأمل في استعمال الكلمة يجد فرقاً في دلالة الجذر (ه و ن)، وقد اكتسب الجذر دالتين مختلفتين باختلاف المصوت، فقد أكسب المصوت القصير (ـ) في فاء الوزن المفردة معنى الخفة واللين ولا يخفى أن الفتحة أخف الحركات العربية في النطق، وقد ناسبت خفة الحركة معنى المفردة في الاستعمال، بينما غيّر المصوت القصير (ـُ) في فاء الوزن دلالة الكلمة (هُون) إلى الحقارة والذلة والبقاء فيها، وكان لصوت المد الناتج من الواو الساكنة والحركة المتجانسة قبلها إشارة إلى المكوث والخلود في هذا الذلّ، وهو العقاب المناسب لجريمة الاستكبار والتماهي فيها المذكورة في نهاية الآية: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْكِبُونَ﴾ (الأنعام: 93)، والجزاء من جنس العمل، والذلّ إما أبديّ كما أشير إليه في الآية، أو أن يظن صاحبه ذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ، يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (النحل: 58-59).

ح ر ر

الحاء والرَّاء في المضاعف له أصْلان: فالأول ما خالف العبودية وبرئ من العيب والنقص⁽⁴²⁾، والثاني: خلاف البرد، يقال هذا يوم ذو حرٍّ، ويوم حارٍّ (43)، والحرُّ بالضم: نقيض العبد⁽⁴⁴⁾، و"الحرُّ: فرخ الحمام، والجائ من الحيات"⁽⁴⁵⁾، وتحرير الولد: أن يفرد له طاعة الله عزَّ وجلَّ وخدمة المسجد، ولا يكون إلا للذكور⁽⁴⁶⁾، و"قال الليث: تحرير الكتابة: إقامة حروفها، وإصلاح السقط"⁽⁴⁷⁾، وحرُّ الدَّار: وسطها، وطينٌ حرٌّ: لا رَمَل فيه⁽⁴⁸⁾، والحرُّور: الرِّيح الحارَّة تُكوِّن بالنَّهار واللَّيل، ومنه الحرَّة، وهو العطش⁽⁴⁹⁾، والحرَّة: أَرْض ذات حِجَارَةٍ سَوْدَاء كأنها أحرقت بالنار⁽⁵⁰⁾، والحرارة: حرقة في الفم من طعم الشيء، وفي القلب من التوجع⁽⁵¹⁾، واستحرَّ القتل وحرَّ: اشتدَّ، وفي حديث عمر: (إِنَّ الْقَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ بِقُرْأِ الْقُرْآنِ يَوْمَ الْيَمَامَةِ، وَإِنِّي لَأَخْشَى أَنْ يَسْتَحَرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرْأِ)⁽⁵²⁾، والحرير: ثياب من إبريسم⁽⁵³⁾.

ورد جذر (ح ر ر) في القرآن الكريم [26] مرَّة⁽⁵⁴⁾، وبأوزان ودلالات مختلفة.

ففي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْ بِالْحَرْ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ (البقرة: 178)، الحرُّ ضد العبد وهو غير مملوك الرقبة، والحر من كل شيء هو أكرم ما فيه، ويقال: حر المال يعني أكرم ما في المال، و«الحر» في الإنسان هو من لا يحكم رقبة أحد، و«الحر» من القول هو ما يؤكل غير ناضج، أي غير مطبوخ على النار، كالفستق واللوز، وجمعه أحرار وحرائر⁽⁵⁵⁾.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم سَرَائِلَ تَقِيكُمْ الْحَرْ وَسَرَائِلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكُمُ﴾ (النحل: 81)، "ومعنى تقيكم الحرَّ تدفع عنكم ضرر الحرِّ، وخص الحرَّ ولم يذكر البرد اكتفاء بذكر أحد الضدين عن ذكر الآخر؛ لأن ما وقى من الحرِّ وقى من البرد. ووجه تخصيص الحرِّ بالذكر أن الوقاية منه كانت أهم عندهم من الوقاية من البرد لغلبة الحرِّ في بلادهم"⁽⁵⁶⁾.

والتأمل في استعمال الكلمة يجد فرقاً في دلالة الجذر (ح ر ر)، وقد اكتسب الجذر دالتين مختلفتين باختلاف المصوت، فقد أكسب المصوت القصير (ـُ) في فاء الوزن المفردة (الحرَّ) معنى الثقل والتثبُّت والاستقرار؛ والإنسان لا يقدر بثمن فلا يباع ولا يشتري، وليس لأحد حقٌّ في ذلك، وهو أبعد ما يكون عن النقص، وقد

ناسبت هذه الصفات كرامة الإنسان التي وهبها الله إياه، ومعلوم أن الضمة حركة ثقيلة فهي تبرز قيمة الحرية لدى الإنسان، في حين ناسب المصوت القصير الفتحة (ـَ) (الحرّ) صفة التطاير والارتفاع التي تصدر عن الحار، في إشارة إلى الخفة، ألا ترى كيف أن الماء المغليّ يتبخّر ويتطاير ويرتفع عنه البخار ويتجه إلى الأعلى لخفته، وقد ناسبت خفة الحركة معنى المفردة في الاستعمال.

الدلالة النحوية

إذا أراد المتكلم أن يكون كلامه مفهوماً منسجماً فلا بدّ أن يكون موافقاً للقواعد والأسس التي اتفق عليها أهل الصنعة، بعد أن بيّنوا ذلك على وفق ما جاء عن الفصحاء، ويرتب كلامه على أساس سبيلهم، قال الجرجاني (ت 471هـ): "اعلم أن ليس "النظم" إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه "علم النحو"، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيع عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها" (57).

ولا يخفى أن بين علامة الإعراب وحركة الإعراب فروقاً، إذ علامة الإعراب عامة فمنها الحركة وغير الحركة من دلائل الإعراب، وأما حركات الإعراب عند النحويين فثلاث حركات: وهي الفتحة والضمة والكسرة، وأما غيرها فعلامات تنوب عن الحركات عند تعذّر الإعراب بها كالواو أو الألف أو الياء، أو السكون أو النون أو حذف حرف العلة.

إنّ حركات الإعراب ليست شيئاً زائداً أو ثانوياً بل لها وظيفة بيانية ونحوية يتضح بها المعنى، فعن طريق الحركات نعرف الصلة النحوية بين كلمة وأخرى، وهذا هو رأي جمهور علماء اللغة العربية، قال الزجاجي (ت 337هـ): "فإن قال: فقد ذكرت أن الإعراب داخل في الكلام فما الذي دعا إليه واحتيج إليه من أجله؟ الجواب: أن يقال: أن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني، فتكون فاعلة ومفعولة ومضافة ومضافاً إليها، ولم تكن في صورها وأبنيتهأ أدلة على هذه المعاني بل كانت مشتركة، جعلت حركات الإعراب فيها تنبيء عن هذه المعاني، فقالوا: ضرب زيدٌ عمرًا، فدلوا برفع زيد على أن الفعل له، وبنصب عمرو على أن الفعل واقع به" (58)، ورفضه قطرب (ت 206هـ)، وهو يرى بأنّ الكلام لم يعرب للدلالة على المعاني، وأنّ حركات الإعراب لا

تدل على معانٍ حقيقية؛ وإنما الحركات للسرعة في الكلام والتخلص من التقاء الساكنين عند اتصال الكلام، وردّ عليه بأنه "لو كان كما زعم لجاز خفض الفاعل مرة ورفع آخرى ونصبه، وجاز نصب المضاف إليه، لأنّ القصد في هذا إنما هو الحركة تعاقب سكوناً يعتدل به الكلام، وأي حركة أتى بها المتكلم أجزأته، فهو مخير في ذلك، وفي هذا فساد للكلام وخروج عن أوضاع العرب وحكمة نظام كلامهم" (59).

فالحركة للحرف كالروح للجسد، والحركة الإعرابية شأنها شأن أي صوت في الكلمة لها قيمة وأثر في الإفصاح والإبانة عما في النفس من معنى، كما يُعرّف الإعراب بأنه اختلاف أواخر الكلمة، وذلك لاختلاف العوامل لفظاً أو تقديراً، فالمعنى يتضح عن طريق هذه الاختلاف في الحركات، فهو وسيلة من وسائل إظهار المعنى وإيضاحه، وهو مظهر من مظاهر الدقة في البيان، فالحركة لها مدلولها في الجملة العربية؛ لذلك الرفع هو علم الإسناد إذ أنّ تعلّق المسند بالمسند إليه، والنصب دليل وقوع الاسم فضلة في الكلام، وأوضحوا أنّ الفضلة تأتي بعد تمام معنى الجملة، والجر دليل الإضافة (60).

الوظائف النحوية للحركات

الحركة تأتي تعبيراً عن المعاني المختلفة، وتفرقاً بين القصد والقصد الآخر، إذ لولا الإعراب لتداخلت المعاني واختلطت وعجزت الألفاظ عن إيصال المعنى المقصود إلى السامع بدقة ووضوح (61)، وقد ذكر إبراهيم مصطفى أنّ دراسة علامات الإعراب من الضرورات؛ لأنها دوالّ على معانٍ، بقوله: "ونعلم أنّ هذه الحركات تختلف باختلاف موضع الكلمة من الجملة وصلتها بما معها من الكلمات" (62).

وبذلك يمكن القول: إنّ الحركات لها وظيفة صوتية لوصل الكلام والتخلص من الوقف، ووظيفة نحوية هي تحديد موضع الكلمة وعملها ووظيفتها، فالعلاقة بين الحركات والنحو علاقة وطيدة، لأنّ النحو هو الإعراب، والإعراب تغيير أواخر الكلم، لذلك الحركات تكشف سرّ النحو وعلاقة الكلمات في الجملة، والتغيير في الحركة هو نتيجة للتغيير في المعنى.

وقد سئل أحدهم: (مَنْ أَسْعَدَ النَّاسِ؟) فأجاب قائلاً: (مَنْ أَسْعَدَ النَّاسَ)، وهذه هي الدقة المرجوة وبها تحصل على الفرق الواضح في التعبير، فتغيير الحركة في (أسعد) في الجملتين حوّل الاسم (أسعد) إلى الفعل (أسعد)،

و(الناس) من مضاف إليه إلى (الناس) مفعول به، وبه تحوّل معنى (مَنْ) الاستفهامية إلى (مَنْ) الموصولة، وبالنتيجة تحولت الجملة الطلبية (الاستفهامية) إلى جملة إنشائية (خبرية).

وإذا أنعمنا النظر فيما يأتي من الجمل مع التغيير الحاصل في أواخرها لبان للقارئ أهمية الحركات، وتوقف عند ضرورة هذا العلم الذي يسمّى بعلم النحو، والذي يعرف بأنّه، "علم يُعرّف به أحكام أواخر الكلمات العربية حال تركيبها، من إعراب وبناء وما يتبع ذلك"⁽⁶³⁾، وواضح أن المقصود بـ(أواخر الكلمات) الحركات الإعرابية؛ فهي الأساس في توجيه إعراب الكلمة، وإذا غابت لأسباب نابت عنها الحروف، وإذا تعسّرت هي الأخرى، كان اللجوء إلى الرتبة، والآن لتأمل هذه الجمل وننظر إلى معانيها من خلال حركاتها:

أ- أَكْرَمُ النَّاسِ أَحْمَدُ.

ب- أَكْرَمَ النَّاسُ أَحْمَدَ.

ج- أَكْرِمِ النَّاسَ أَحْمَدُ.

د- أُكْرِمَ النَّاسُ أَحْمَدُ.

هـ- أَكْرَمَ النَّاسَ أَحْمَدُ.

فالقارئ لهذه الجمل يحصل على معاني مختلفة فيما بينها، مع أن الكلمات نفسها وبالترتيب نفسه، إلا أن الحركات اختلفت فتباينت الدلالات:

ففي جملة (أ)، أَكْرَمُ: هو المبتدأ وهو مضاف، والناس: مضاف إليه، و(أحمدُ) خبرٌ للمبتدأ.

وفي جملة (ب)، أَكْرَمَ: فعل ماضٍ، وفاعله هو الناسُ، و(أحمدُ) جاء في حالة النصب، لأنه مفعول به.

وفي جملة (ج)، أَكْرِمَ: هو فعل أمر مبني على السكون، وكسر لالتقاء الساكنين، وفاعله ضمير مستتر تقديره (أنت) يعود على الاسم المنادى بعده، الناس: مفعول به، أحمدُ: منادى مبني على الضم في محل نصب، وأداة النداء محذوفة.

أما جملة (د)، أُكْرِمَ: هو فعل ماضٍ مبني للمجهول، الناسُ: نائب فاعل، أحمدُ: منادى مبني على الضم في محل نصب، وأداة النداء محذوفة.

وفي جملة (هـ)، أكرم: فعل ماضٍ، الناس: مفعول به مقدّم، وأحمد: فاعل مؤخّر.

النتائج:

من خلال الاستقراء وجمع المعلومات وصل البحث إلى مجموعة من الفوائد والنتائج منها:

- لا شك أن أهمية دراسة المعنى تكمن في دراسة اللغة؛ فاللغة ألفاظ ذات معانٍ، ولولا تلك المعاني ما كانت الدراسات اللغوية تصل إلى ما وصلت إليه، إذ المعاني لا تنتهي، والألفاظ متناهية، ثم حمل على المشترك والحركة المزدوجة والمثلثة حفظ التوازن بين المعاني والألفاظ، والعرب تقدّم المعاني على الألفاظ، كما بين ذلك ابن جني.
- لا شك أن هذه الحركات تقوم بمهمة كبيرة في العربية، فهي تعدّ أساساً لقوة السماع في لغة دعامتها المشافهة حتى الوصول إلى زمن التأليف والتدوين، فضلاً عن تسهيلها لعملية النطق وسرعة الانتقال فيما بين الحروف؛ لتوصل الكلام بعضه ببعض، وليس هذا فحسب بل تجاوزت ذلك لتنتقل إلى الجانب الدلالي وتنويع المعنى عند تقليب صيغ الاشتقاق المختلفة في حدود المادة ذات الجذر الواحد، وكل حركة لها معناها ووظيفتها حسب موضعها في الكلمة، صرفية كانت أم نحوية.
- لم تكن الحاجة إلى بيان الحركات الصرفية والنحوية وكتابتها إلا بعد اختلاط القبائل بالعربية؛ فقد كان العربي يتلفظ الكلمة صحيحة بسليقته، ولا يتردد في ذكره الكلمة بشكل صحيح.
- إن العرب استخدمت الضمة للدلالة على التضام أو التلازم بين ركني الجملة الأساسيتين، والكسرة تدل على التواضع واللين والركة وإظهار الضعف، وهي علم الإضافة، والفتحة تنبئ عن الكثرة، ويشار بها إلى السعة، وهي حركة خفيفة مستحبة يهرع إليها العربي ما وجد إلى الخفة سبيلاً.
- هناك علاقة وطيدة بين الحركات والمعنى، والحركات لها وظائف نحوية وصرفية وكذلك صوتية، واللغة لا تتحدد مساراتها في كثير من الأحيان إلا بالرجوع إلى هذه الحركات، فقد تقلبها إلى الضد؛ ولذلك نجد اعتماد المفسرين والفقهاء في مواضع كثيرة على الحركات في توجيهاتهم.

- لولا الحركات لخيّم الغموض على معاني التعبيرات والكلمات، فتأتي هذه الحركات مبيّنة مفسّرة للمفردة، وبالتالي للتعبير، كالفرق بين اسم الفاعل واسم المفعول، والوصف والمصدر، وغيرها، فالحركة تأتي تعبيراً عن المعاني المختلفة، وتفريقاً بين القصد والقصد الآخر، إذ لولا الإعراب لتداخلت المعاني واختلطت، وعجزت الألفاظ عن إيصال المعنى المقصود إلى السامع بدقة ووضوح.

المصادر والمراجع:

1. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط/5، 1984م.
2. إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، مؤسسة هنداوي، طبعة 2014م.
3. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت 471هـ)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ط/3، 1413هـ - 1992م.
4. أبو بكر محمد بن القاسم (ابن الأنباري)، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مجمع اللغة العربية - دمشق، 1971م.
5. أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس، إعراب القرآن، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، ط/3، 1985م.
6. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت 170هـ)، العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.ت).
7. أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت 444هـ)، المحكم في نقط المصاحف، تحقيق: د. عزة حسن، دار الفكر - دمشق، 1997م.
8. أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت 392هـ)، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط/4، (د.ت).
9. أبو الفتح عثمان ابن جني (ت 392هـ)، سر صناعة الإعراب، تحقيق د. حسن هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط/1، 1421هـ - 2000م.
10. أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعروف بابن النديم (ت 438هـ)، الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت - لبنان، ط/2، 1417هـ - 1997م.
11. أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق د. مازن المبارك، دار النفائس - بيروت، ط/3، 1979م.
12. أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، نتائج الفكر في النحو، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط/1، 1992م.
13. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، مكتبة عالم الكتب، ط/1، 1985.
14. رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط/6.
15. ريمون طحان ودينيز بيطار، فنون التعقيد اللغوي وعلوم الألسنية، دار الأمل، 2008م.

16. ر.هـ. روبتز، موجز تاريخ علم اللغة عند الغرب، ترجمة: د. أحمد عوض، ط/3، 1989.
17. زياد عبد الله عبد الصمد البنّا، مدخل إلى علم النحو، مركز أربيل للقرآن الكريم – أربيل، ط/1، 2016م.
18. سليمان حسن العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية فونولوجيا العربية، ترجمة: د. ياسر الملاح، مراجعة: د. محمد محمود غالي، ط/1، 1983م.
19. كريم حسين ناصح الخالدي، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، دار صفاء للنشر والتوزيع – عمان، ط/1، 2006م.
20. كمال الدين أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، مطبعة السعادة، ط/4، 1961م.
21. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت751هـ)، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د.ت.).
22. محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحّاك، الترمذي، أبو عيسى (ت279هـ)، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط/2، 1975م.
23. محمد حسين آل ياسين، الأضداد في اللغة، جامعة بغداد، ط/1، 1974م.
24. محمد حسين علي الصغير، تطور البحث الدلالي (دراسة تطبيقية في القرآن الكريم)، دار المؤرخ العربي، 1999م.
25. محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الإيمان، ط/2، 1998م.
26. مرتضى الزبيدي (ت1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، طبعة دار الهداية، (د.ت.).
27. مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، ط/2، 1986م.
28. نادية معاتقي، إسهام الدارسين العرب المحدثين في إرساء أسس علم الدلالة (مذكرة لنيل درجة الماجستير) مطبوع، دار الأمل، 2006م.
29. هادي نمر، الأساس في فقه اللغة العربية وأرومتها، دار الأمل، أريد – الأردن، ط/2، 2005م.
30. يوهان فك، العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة: د. رمضان عبد التواب، (د.ت.).

الهوامش:

- (1) إسهام الدارسين العرب المحدثين في إرساء أسس علم الدلالة: 15.
- (2) ينظر: موجز تاريخ علم اللغة عند الغرب: 27-28. ودلالة الألفاظ: 43.
- (3) ينظر: علم الدلالة: 18-19.
- (4) فنون التعقيد اللغوي وعلوم الألسنية: 26.
- (5) ينظر: موجز تاريخ علم اللغة عند الغرب: 237-238.
- (6) الخصائص: 221/1 – 227.

- (7) العين: 61/3.
- (8) الصحاح: 1579/4، وينظر: مقاييس اللغة: 45/2.
- (9) مقاييس اللغة: 45/2.
- (10) ينظر: فصول في فقه العربية: 396، والأصوات اللغوية: 26.
- (11) سر صناعة الإعراب: 42/1.
- (12) الكتاب: 242/4.
- (13) علم الدلالة: 11.
- (14) ينظر: الأساس في فقه اللغة العربية وأرومتها: 227.
- (15) ينظر: الأضداد في اللغة: 55، وتطور البحث الدلالي: 19-20.
- (16) التشكيل الصوتي في اللغة العربية فونولوجيا العربية: 38.
- (17) ينظر: بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية: 87/2-88، وفي النحو العربي نقد وتوجيه: 76.
- (18) ينظر: نتائج الفكر في النحو: 67.
- (19) الإنصاف في مسائل الخلاف: 536.
- (20) ينظر: علم المصاحف: 137.
- (21) المحكم في نقط المصاحف: 2.
- (22) ينظر: العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب: 21.
- (23) إيضاح الوقف والابتداء: 241/1، وينظر: الفهرست: 61-62.
- (24) مقاييس اللغة: 21/6.
- (25) ينظر: العين: 92/4، ولسان العرب: 438/13.
- (26) لسان العرب: 438/13.
- (27) ينظر: العين: 92/4، ولسان العرب: 438/13.
- (28) تهذيب اللغة: 232/6، ولسان العرب: 440/13.
- (29) ينظر: تهذيب اللغة: 232/6، ومقاييس اللغة: 21/6، ولسان العرب: 438/13.
- (30) ينظر: العين: 92/4.
- (31) ينظر: لسان العرب: 440/13.
- (32) مقاييس اللغة: 21/6.
- (33) ينظر: لسان العرب: 440/13.
- (34) العين: 92/4.
- (35) ينظر: تهذيب اللغة: 233/6، ولسان العرب: 440/13.
- (36) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: 830.

- (37) النكت والعيون: 145/2.
- (38) ينظر: الكشف: 47/2، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: 173/2، والدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون: 40/5.
- (39) الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون: 497/8.
- (40) ينظر: تفسير الجلالين: 478/1، والتحرير والتنوير: 68/19.
- (41) جامع البيان في تأويل القرآن: 541/11.
- (42) ينظر: مقاييس اللغة: 7-6/2، ولسان العرب: 178/4.
- (43) ينظر: تهذيب اللغة: 275/3، ومقاييس اللغة: 7-6/2، ولسان العرب: 177/4.
- (44) ينظر: تهذيب اللغة: 277/3، ولسان العرب: 181/4.
- (45) تهذيب اللغة: 276/3.
- (46) ينظر: تهذيب اللغة: 277/3، ولسان العرب: 181/4.
- (47) تهذيب اللغة: 278/3.
- (48) ينظر: مقاييس اللغة: 6/2.
- (49) ينظر: تهذيب اللغة: 275/3، ومقاييس اللغة: 6/2، ولسان العرب: 177/4.
- (50) ينظر: تهذيب اللغة: 275/3، ولسان العرب: 179/4.
- (51) ينظر: لسان العرب: 179/4.
- (52) سنن الترمذي، باب، ومن سورة التوبة، رقم الحديث: 3103، 283/5.
- (53) ينظر: تهذيب اللغة: 276/3.
- (54) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: 2410.
- (55) ينظر: البحر المحيط، 129/2، وتفسير الشعراوي، 745/2.
- (56) فتح القدير، 211/3، وينظر: النكت والعيون، 206/3، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، 236/3.
- (57) دلائل الإعجاز: 81/1.
- (58) الإيضاح في علل النحو: 69.
- (59) ينظر: المصدر نفسه: 70.
- (60) ينظر: نظرية المعنى في الدراسات النحوية: 228-217.
- (61) ينظر: نظرية المعنى في الدراسات النحوية: 213.
- (62) إحياء النحو: 42.
- (63) مدخل إلى علم النحو: 3.